

كما أمكن تحديد مجموعتين من الأوزان ، تعتمد المجموعة الأولى على أساس وحدة الوزن المسماة «المثقال» الذي يعادل 7,75 غراماً ، ولما كانت المينا مؤلفة من ستين مثقالاً ، فإنها تعادل $470 = (60 \times 7,75)$ غراماً .

وتعتمد المجموعة الثانية على المثقال الذي يزن 9,40 غراماً ، وقد أصبح هذا المثقال هو الأساس المتبع في أوغاريت (رأس الشمرا) بعد ذلك . ولما كانت المينا في أوغاريت مؤلفة من خمسين مثقالاً ، فإن المينا الاوغاريتية تعادل : $470 = (50 \times 9,40)$ غراماً .

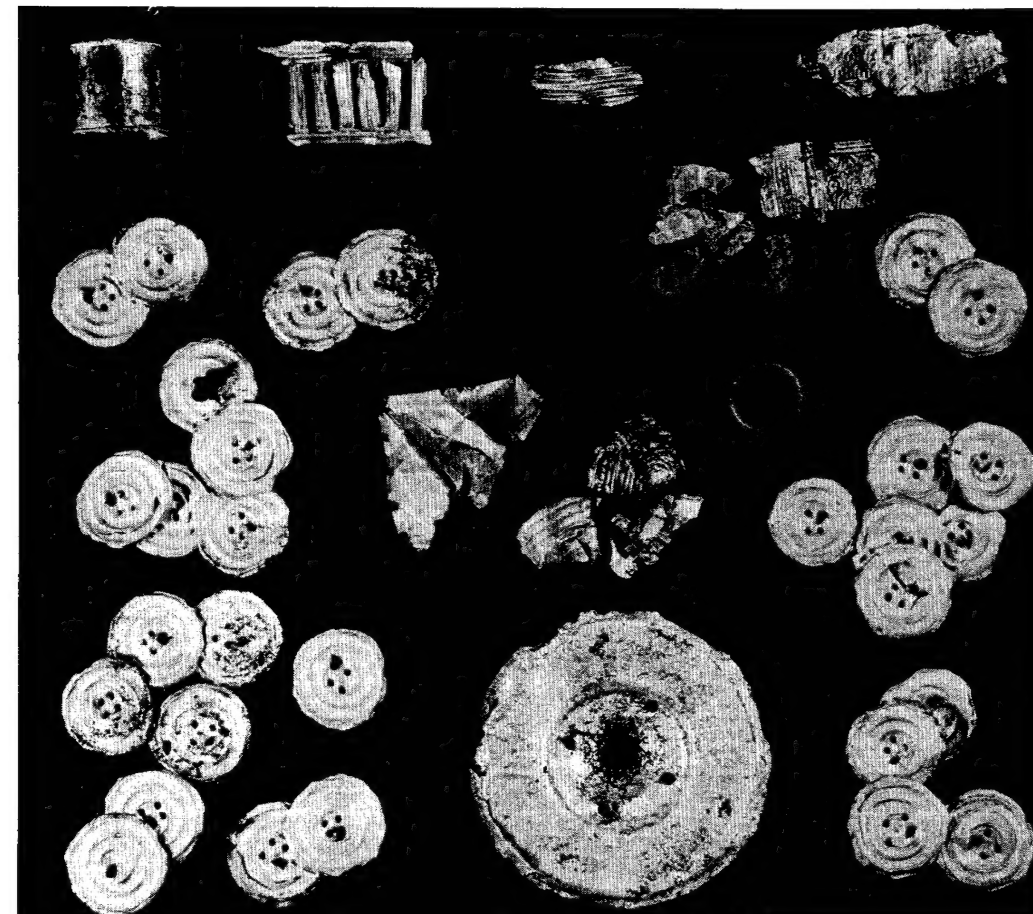
وثمة أوزان منقوشة تشهد على استخدام وحدة الوزن الاناضولية التي يعادل المثقال فيها مقدار 11,45 غراماً ، وترتبط الوزنة الاناضولية بكلا وحدتي الوزن آنفتي الذكر .

«تفيد نصوص إبلا إلى تقسيم المينا إلى 60 مثقالاً ، وهو الوزن المتبع لوزن البضائع التي يتم عقد صفقاتها ضمن حدود امبراطورية إبلا . . ومن المعروف أن المثقال الذي يعادل 7,75 غراماً كان معروفاً في بلاد الرافدين وعيلام خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد أكدت الكميات الكبيرة من أحجار اللازورد التي تم العثور عليها في إبلا ، ان هذا المثقال كان يستخدم في العلاقات التجارية القائمة بين إبلا والبلاد الواقعة إلى الشرق منها . ولعل المثقال الذي يعادل وزنه 9,40 غراماً ، كان مخصصاً لوزن البضائع التي يتم عقد صفقاتها بين إبلا ومدن الساحل السوري بالإضافة إلى مصر . وتجدر الإشارة إلى أن المثقال الرافدي الذي يزن 8,75 غراماً لم يكن مستخدماً في إبلا آنذاك⁴ .

لقد كانت علاقات إبلا الاقتصادية أوسع بكثير من رقعة سيادتها السياسية ، ومكتشفاتها العديدة ، تؤكد ذلك ، فالمنطقة التي كانت إبلا تقيم معها علاقات اقتصادية وتجارية بصفة دائمة ومستمرة . . واسعة الأرجاء ونائية في الشرق ، وتشمل وادي الفرات الأوسط ، حتى مدينة ماري ، الواقعة قرب بلدة البوكمال - حالياً - ثم منطقة وادي الدجلة الأعلى ، وعاصمتها مدينة (كاكوموم) الوارد اسمها في كثير من النصوص البابلية القديمة ، ولكن لم يتم التعرف على موقعها - حتى الآن - ثم بلاد آكاد وشمال بلاد بابل إلى الجنوب من بغداد ، حيث يرد في نصوص إبلا بكثرة اسم مدينة (كيش) التي كانت من كبريات مدن ذلك الزمان .

كذلك كان لابلا علاقات اقتصادية وتجارية مع المدن التي كانت تقع على الطريق البري الواصل بين إبلا والفرات الأوسط ، حيث يرد في النصوص المسارية أسماء مدن كثيرة تقع على هذا الطريق مثل : مدينة الطوب الواقعة في منطقة بحيرة الجبول ، ومدينة ايمار (مسكنة/بالس) . . كما يرد أسماء يعتقد أنها واقعة في شمال بلاد ما بين النهرين بين الفرات والدجلة الأعلى ، مثل : (بورمان) ، (جرم) و (نجر) . . كما يرد اسم مدينتين هامتين آشوريتين واقعتين إلى الشرق من نهر الدجلة وهما : مدينة (خمازي) الواقعة إلى الشمال الشرقي من الموصل ، ومدينة (جاسور) القريبة من كركوك .

ويؤكد «باولوماتيه» أن نفوذ إبلا على المنطقة الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين ، كان مقبولاً وطويل الأجل ، وذلك لأننا بعد مرور نحو ألف سنة من تاريخ نصوص القصر الملكي في



أزهار وقطع زينة من الذهب كانت تزهو بها ثياب شخصية إبلائية، دفنت في قبر سيد الماعز (1700 - 1750 ق.م.) وقد اتلف رشح المياه، الثياب الذهبية التي كانت الشخصية الإبلائية المدفونة ترتديها.

ومع أن الذهب كان الأرفع قيمة بين المعادن ، فإن الفضة كانت الأكثر شيوعاً ، وكان المعدنان يصنعان حلياً في إبلا ، وترسل هذه إلى الاسواق القريبة والبعيدة

ولندلل على كميات الذهب والفضة التي كانت تأتي - أحياناً - إلى إبلا ننقل عن نص مساري خبيراً مفاده :

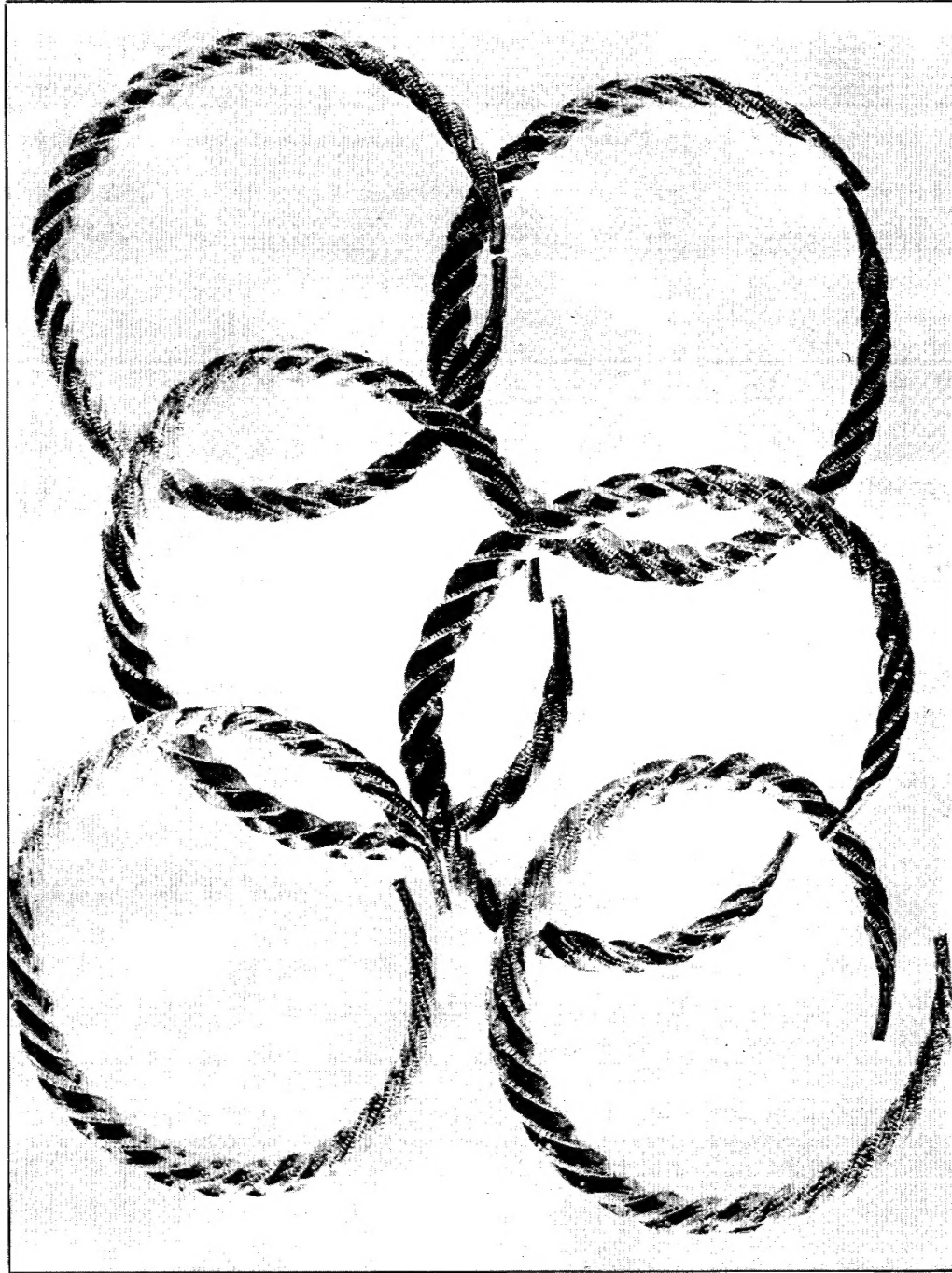
«إن مدينة ماري - تل الحريري - لما احتلتها إبلا ، فرضت هذه عليها غرامة قيمتها 2193 مينا من الفضة ، و 134 و 26 شاقلاً من الذهب» .

ومعنى هذا نحو طناً واحداً من الفضة ، ونحو ستين كيلوغراماً من الذهب ، وبهذه المناسبة فقد دفع (إبلول - ايل) ملك ماري وحده 1100 مينا من الفضة ، و 93 مينا من الذهب ، فيما دفع شيوخ المدينة ما تبقى³ .

وبهذه المناسبة نشر إلى نظام الأوزان في إبلا ، فقد اكتشفت غالبية الأوزان في القصر الملكي الذي يعود تاريخه إلى العصر البرونزي القديم ، وقام بدراستها البروفيسور - ألفونسو أركي ، وقد أبانت تلك الدراسة أن الأوزان في إبلا كانت تحدد بالغرام ، الوزن الفعلي لوحدة الوزن المسماة آنذاك «المينا» وتعادل المينا الواحدة نحو 470 غراماً . وهذا هو الوزن الفعلي للمينا في أوغاريت خلال الألف الثاني قبل الميلاد .

3 - الفكر العربي ، العدد (52) - آب 1988 (ص 110) .

4 - انظر ، إبلا ، الصخرة البيضاء ، ترجمة الاستاذ قاسم طوير ، عن الفونسو أركي - دراسات إبلائية - العدد الرابع ، إصدار جامعة روما لعام 1981 (ص 153 - 154) .



صناعة الحلي الذهبية كانت من روائع فن الصياغة في إبلا، وهذه نماذج عنها كانت تزين معصم الأميرة التي كانت ترفد في «قبر الأميرة» المكتشف في إبلا.

أنواع مختلفة الحجم من الخرز اللازوردي، والذي كان يشكل ذات يوم طوقاً ثميناً يزين عنق إحدى بنات القصر أو حريمه، وعثر أيضاً على لوحات خشبية مطعمة، وقطع أثاث مزينة بأشكال الثيران الملتحية، وفيها بقايا من اللازورد، وكانت خلفيات جدران الجناح الرسمي للقصر، منزلة بفصوص اللازورد..

إن وجود اللازورد في إبلا بهذه الكميات النسبية أثار اهتمام علماء الآثار من عدة نواحٍ وخاصة في مصدره لأنه لم يعثر عليه سابقاً في سورية في الألف الثالث قبل الميلاد، فمن أين وصل اللازورد إلى إبلا؟! وإلى أين كانت ترسله؟!!

إبلا، أي في نحو 1500 قبل الميلاد، اكتشف في منطقة كركوك اسم مدينة كانت تدعى (دور-إبلا) أي مدينة إبلا، ولعلها كما يعتقد «ماتيه» كانت مستوطنة تجارية يقطنها تجار من أهالي إبلا.. ان لم تكن قاعدة إبلائية في شرقي بلاد آشور⁵.

تجارة اللازورد:

يعتبر حجر اللازورد من الأحجار الشبه كريمة، وتتمتع القطع الثمينة منه بلون أزرق، تتخلله نقاط ذهبية براق، وهذا الحجر لا يتوفر إلا في أماكن معدودة جداً، وحتى اليوم لا يستخرج إلا في أفغانستان، وفي منطقة بحيرة بايكال وفي الشيلي، لكن اللازورد الأفغاني لا يزال الأجود نوعية وشكلاً.

إن معظم اللازورد المكتشف في المواقع الأثرية في بلاد الرافدين مصدره أفغانستان، لكن لم يتم العثور على أية قطعة منه في فلسطين، كما أنه نادر الوجود في مصر، حيث كان يجلب من الشرق كما تفيد بذلك الكتابات المصرية القديمة.

وقد عثر المنقبون على قطع لازوردية في أور وماري يعود تاريخها إلى الفترة الواقعة بين 2350 - 2550 قبل الميلاد، ولم يعثر على قطع أخرى في أي موقع أثري إلى الغرب من ماري.... حتى جاءت تنقيبات القصر الملكي في إبلا في فترة ازدهارها الأولى 2400 - 2250 قبل الميلاد، حيث كشف النقاب عن أدلة جديدة للتجارة باللازورد....

وبالفعل عثرت البعثة الإيطالية في باحة الجناح الرسمي للقصر الملكي، على عدة قطع لخامات اللازورد وقد بلغ الوزن الإجمالي للقطع الخام أكثر من 22 كغ، ويتألف 30% منها من قطع ترن كل واحدة منها ما بين 400، 600 غراماً.. وكانت معظم القطع مغلفة بقشرة رمادية اللون، ولعل هذا اللون قد خلفته عملية الاستخلاص. وبالفعل كان يجري في الماضي، وحتى في الوقت الحاضر اشعال النار في المنجم لاستخلاص اللازورد من فلزاته الصخرية، وعندما تصبح درجة حرارة الفلزات عالية جداً، يجري صب الماء البارد عليها، عندئذ تتشقق الفلزات إلى قطع متعددة، لذلك فإنه من المرجح جداً أن تكون القطع التي عثر عليها المنقبون في قصر إبلا من هذا النوع من الكتل الخام، التي يبلغ وزنها الوسطي نحو 500 غرام⁶.

وترجح السيدة بينوك أن تكون تلك القطع الثمينة من اللازورد الخام قد حفظت في الغرف الرسمية للقصر، بانتظار تسليمها إلى الصناع الفنيين أو إلى أحد التجار المكلفين بالتجار بها في الخارج. وبالفعل كانت هناك كتل ترن بين 100 - 200 غرام، وعليها آثار القطع والحز الناجمة، على ما يبدو، عن عملية التقطيع الأولى إلى كتل صغيرة، أكبر بقليل من حجم القطعة الفنية المراد صياغتها من قبل صانع الحلي والمجوهرات، وبما أن المادة ثمينة وغالية الثمن، فلا بد أن كان المرء حريصاً على عدم التفريط بأي غرام منها أثناء عملية التقطيع والصقل والصياغة.

على الرغم من أن علماء الآثار لم يعثروا في القصر الملكي بإبلا على ما يشير إلى وجود عملية التصنيع كانت تتم داخل القصر، فقد عثر على عدة قطع من الحلي المصنوعة من اللازورد، وأبرزها

5- علاقات إبلا الاقتصادية والسياسية - باولوماتيه - اصدار جامعة روما - عام 1983، ترجمة الاستاذ قاسم طوير (ص 11 - 13).

6- تجارة اللازورد، بقلم فرانسيس بينوك، عضوة البعثة الأثرية الإيطالية العاملة في إبلا، اصدار جامعة روما عام 1983، ترجمة قاسم طوير (ص 36 - 35). والمحاضرة التي قدمتها الباحثة إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية - جامعة حلب (19 - 24) ايلول 1981.

تجيب عن ذلك البروفيسورة فرانسيس بينوك فتقول :

كان معظم اللازورد القديم يستخرج من مناجم (باداخشان) في أفغانستان ، والتحليل الدقيق الذي قمت به مع بعض المختصين أثبت أن اللازورد المكتشف في إبلا مصدره من هناك . . . وتتحدث بعض النصوص المسارية التي تمكنا من قراءتها - حتى الآن - عن أن إبلا كانت ترسل سبائك الفضة إلى ماري (تل الحريري) مقابل استيراد اللازورد ، وعن ورود شحنات من اللازورد من ماري إلى إبلا كهدية ، ومن إبلا إلى كيش في بلاد ما بين النهرين ، مع أنه ليس من السهل تفسير هذه العلاقة الأخيرة .

وفي ضوء الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة في ذلك الزمان تتصور «بينوك» بشكل عام حالة تجارة اللازورد في إبلا : فمن المرجح تماماً أن إبلا كانت تحصل على الفضة من بلاد الاناضول ، بينما لم تجد ماري صعوبة في الحصول على اللازورد من منطقة الدولة الأكادية ، وكانت العلاقات نامية بين إبلا وماري إلى حد أنه من المعقول أن يكون تبادل اللازورد والفضة بينهما بنسبة واحد إلى واحد ، رغم القيمة العالية والنادرة للازورد بالقياس إلى معدن الفضة . . . وهناك ما يشير إلى أن تجار إبلا قد قاموا بنقل هذه المادة الثمينة إلى المناطق الغربية باتجاه سواحل بلاد الشام ، ومن هناك كانت تشحن إلى مصر حيث يشتد الطلب على هذه المادة النادرة ، وكان يبادل في مصر بالأواني الحجرية التي كانت تشهد بصناعتها ، وقد عثر المنقبون في إبلا على بقايا من تلك الأواني المصنوعة من حجر الديوريت ومن حجر الالباتر ، وكانت تحمل أسماء فراعنة مصر مثل خفرع وببى الأول⁷ .

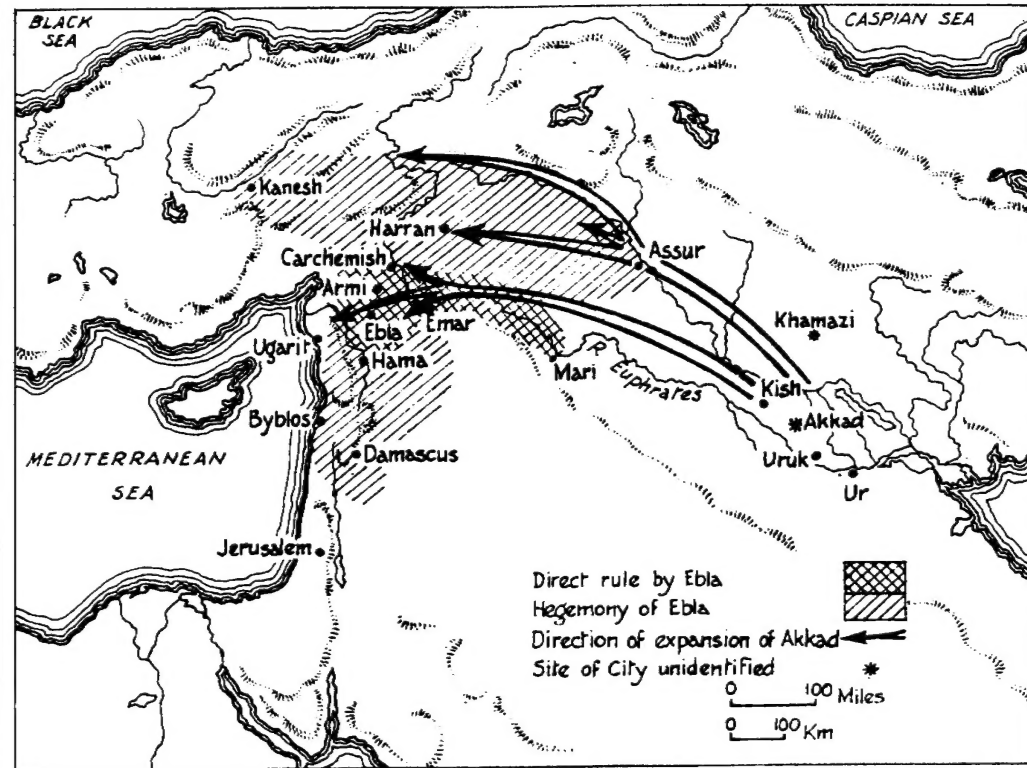
7 - المصدر السابق . (ص 39)

علاقات إبلا مع مصر :

لقد عثر في تنقيبات إبلا ، على دلائل أثرية مادية ، تبرهن على وجود علاقات بين مصر وامبراطورية إبلا من هذه الآثار تلك القطع المبعثرة هنا وهناك في أرضيات القصر الملكي (ج) المصنوعة من حجر الالباتر ومن حجر الديوريت ، وكلا المادتين لم تعرف إلا في بلاد مصر ، وقد تمكن علماء الآثار من تجميع بعض تلك القطع الحجرية المحطمة مثل أغطية الأواني والشمعدانات النادرة .

تلك القطع والأواني الحجرية ، جعلت البعثة الأثرية الإيطالية تعيد حساباتها بخصوص علاقات إبلا التجارية والدولية ، خاصة وأن أجزاء الشمعدانات كانت تحمل كتابات هيروغليفية مصرية ، تؤلف اسم ولقب الفرعون المصري الشهير «خفرع» سليل الأسرة الرابعة ، وباني الاهرام الثاني في منطقة الجيزة الذي يحمل اسمه . وهناك أيضاً قطعة بشكل غطاء لآنية اسطوانية مصنوعة من حجر الالباتر تحمل لقب الملك «ببى الأول» وهو الملك الثالث في السلالة المصرية السادسة ، وكان حكمه أطول حكم في التاريخ المصري القديم

هذه المعطيات دفعت علماء الآثار - كما قلنا - إلى البحث جدياً عن جذور العلاقات بين امبراطورية إبلا وبلاد مصر ، وقد ثبت أن هذه العلاقات تعود إلى عصور ما قبل السلالات ، وإلى عصر السلالات الأولى ، وقد توفرت الأدلة الإضافية على ذلك من خلال بعض المكتشفات



خارطة توضح بعض علاقات إبلا السياسية والاقتصادية مع بلاد ما بين النهرين .

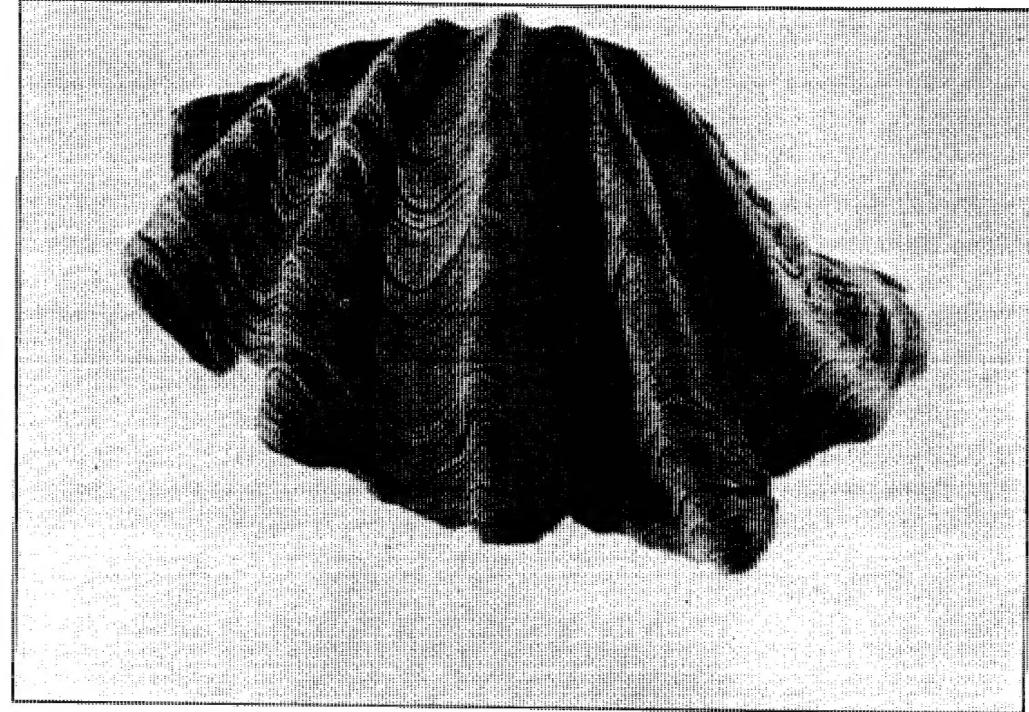
الأثرية التي تمت في بعض الحفريات في جنوب فلسطين ، حيث تم العثور على حطام أوانٍ مصنوعة من حجر الالباتر ، لكنها لا تحمل أية كتابة ، وعلى حطام أوانٍ فخارية مشفوعة بنقوش هيروغليفية ، تؤلف أسماء عدد من الفراعنة ، وقد استمرت تلك العلاقات ، وامتدت خلال فترة السلالات القديمة نحو الشمال ، بحيث أنها تركزت في ميناء جبيل على الساحل السوري ، حيث كشفت التنقيبات الأثرية في هذا الموقع عن العديد من القطع الأثرية المشفوعة بأسماء معظم الفراعنة الذين حكموا في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي مقدمتهم الفرعون «خاسي خيمو» الذي كان آخر ملوك الأسرة الثانية في مصر⁸ .

وفي تحليلها لأسباب التركيز المصري على ميناء جبيل دون غيره من موانئ الساحل السوري ، تقول البروفيسورة «غابرييلا ماتيه» : إن جبيل كانت الميناء الذي تأتي منه المواد الخام الأساسية لمصر مثل أخشاب جبل لبنان ، والصمغ المستخرج من أشجار الجبال نفسها ، إضافة إلى منتجات أخرى في بلاد الشام الداخلية ، والتي كانت تصل إلى ميناء جبيل بطريق القوافل البرية . .

كان المصريون يحتاجون إلى الأخشاب في البناء والتعمير ، وفي صنع توابيت موتاهم ، أما الصمغ فكان مادة أساسية في تحنيط الجثة ، وقد أكدت التحاليل الكيميائية الحديثة وجود عناصر صمغية خشبية في الجثث المحنطة في عصر السلالات القديمة في مصر ، فضلاً عن وجود نص كتابي يعود تاريخه إلى مطلع عصر السلالات الوسطى ، يشكو فيه كاتبه ، من السفن التي لم تتمكن من الابحار في اتجاه الساحل السوري لجلب الزيوت اللازمة لتحنيط الموتى .

وتتابع غابرييلا تحليلها : ويبدو أنه كان في جبيل في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، مكتب لمدوب دائم عن الفرعون المصري ، وهذا يفسر لنا أسباب العرى الوثيقة التي كانت تربط جبيل مع

8 - المصدر السابق ، بقلم غابرييلا ماتيه سكاندوني ، عضوة البعثة الأثرية الإيطالية العاملة في إبلا ، (ص 25) .



صدفة من الخليج العربي
اكتشفت في مواقع التنقيب في
إبلا.

مصر ولكن بماذا نفسر سبب وجود الأواني المصرية داخل القصر الملكي في إبلا هذه المدينة التي تعتبر أبعد نقطة في الشمال ، وفي الشرق وصلت إليها تحف مصرية يعود تاريخها إلى عصر السلالات القديمة ؟!

الجواب عن ذلك يمكن في ثلاثة افتراضات وضعتها «غابرييلا ماتيه» ولكنها لا تبت في أيهم الأقرب إلى الحقيقة :

يعتمد الافتراض الأول احتمال وجود روابط مباشرة بين بلاط إبلا والبلاط المصري ، ونستغرب أن يكون ملوك إبلا قد قايسوا تلك الأواني الحجرية النادرة ، بقطع من اللازورد ، ذلك الحجر المفقود في مصر والمرغوب جداً في صناعة الحلي ، ومن الممكن أن تكون مثل هذه البضاعة تصل إلى البلاط المصري من سورية الشمالية بطريق القوافل أو بطريق البحر ، انطلاقاً من الميناء الذي جعله ملك إبلا الميناء الرئيسي على ساحل البحر المتوسط ، حينذاك ، ومن الممكن أن يكون ذلك الميناء (أوغاريت) التي يرد ذكرها كثيراً في قائمة الاسماء الجغرافية في نصوص إبلا .

- الافتراض الثاني يقوم على أساس أن إبلا جلبت تلك الأواني المصرية من ميناء جبيل على الساحل السوري ، وبالفعل عثر المنقبون الآثاريون في موقع جبيل على عدد مناسب من الأواني الحجرية المشفوعة بأسماء فراعنة السلالة القديمة في مصر ، بحيث أصبح من المؤكد أن مصر كانت تصدر مثل هذا النوع من الأواني إلى موانئ بلاد الشام على ساحل المتوسط ، ولا بد أن كانت جبيل بصفتها ميناء خطير الشأن ، تحتكر الحركة التجارية لبلاد الشام الداخلية ، وفي رحاب أسواقها كانت تتم المقايضة بين البضائع المستوردة من مصر ، والبضائع المراد تصديرها إلى مصر .

يبد أنه يصعب الأخذ كلياً بهذه الفرضية ، لأن اسم جبيل لا يرد ذكره في أي نص من نصوص إبلا - حتى الآن .-

9 - المصدر السابق (ص 28) .

- الافتراض الثالث يقوم على أساس أن مدينة هامة لها روابط مع بلدان أخرى ، سقطت بأيدي قوات إبلا ، وكانت تلك الأواني جزءاً من الغنائم . وهذا أضعف الافتراضات⁹ على كل حال الأعمال الأثرية لاتزال قائمة في إبلا على قدم وساق ، ونرجو أن تقدم لنا المكتشفات القادمة ، الدلائل المادية التي نستطيع من خلالها أن نرجح كفة على كفة أخرى

. علاقات إبلا الدولية :

من خلال الكشف الأثري ، التي تطرقنا إلى كثير من محتوياتها في الأبحاث الماضية ، نستطيع القول بثقة تامة أن إبلا كانت عاصمة سياسية وحضارية لامبراطورية سورية ، تمتد رقعتها الجغرافية على مساحة واسعة ، تقع بين نهر الفرات شرقاً ، وجبال الساحل السوري على البحر المتوسط غرباً ، ومن منطقة قطنة (تل المشرفة قرب حمص) جنوباً ، حتى جبال الأمانوس وطوروس شمالاً

إن النصوص المسامرية التي اكتشفت في القصر الملكي (ج) تطرقت إلى ذكر أعداد كثيرة من أسماء المدن والقرى والمناطق التي كانت تابعة لامبراطورية إبلا ، وقد تمكن علماء الآثار من التعرف على بعض منها بين التلال الأثرية الكثيرة المنتشرة في تلك البقاع ، مع العلم أنه من النادر جداً أن تتناقل الأجيال اسم المدينة أو القرية على مر أربعة آلاف وخمسمائة سنة تقريباً ، ومن تلك الأسماء : مورك وصوران قرب حماه ، ونيارس شمال بلدة سراقب في محافظة ادلب . كما يرد في النصوص المسامرية أيضاً اسم (دوجان) وهو قريب في لفظه من اسم (تل طوقان) الهام جداً ، والواقع في منطقة (أبو الظهور) شرقي إبلا ، والذي قامت البعثة الأثرية الإيطالية ببعض الأعمال التنقيبية فيه .

كما ترد في نصوص إبلا أسماء ملوك الكثير من المدن ، مثل ملوك حماة وتوبا وإيمار وأورشو ، ومن المحتمل جداً أن هؤلاء الملوك كانوا خاضعين للعاصمة إبلا ، وربما كان بعضهم ولاة من أصل إبلائي ، كما حدث في مدن هامة ونائية مثل ماري (تل الحريري) قرب بلدة البوكمال حالياً .

وهناك ما يشير إلى أن نفوذ إبلا السياسي ، قد امتد إلى ما وراء نهر الفرات . . ذلك لأن هناك عدة مدن يرد ذكرها في نصوص إبلا ، كانت تقع فيما وراء نهر الفرات مثل مدينة (ايرتا) ومدينة (حران) . . كما كانت تربط إبلا الأحلاف الودية مع مدن ما وراء الدجلة الشمالي مثل : مدينة (حازوان) ومدينة (عرار) ومدينة (كاسميوم) ومدينة (خمازي) وبالرغم من أن هذه المدن لم تكتشف أماكنها إلا أن أغلب الباحثين يرجحون وقوعها في مكان ما إلى الشمال الشرقي من نهر الدجلة .

ونستفيد من ترجمة بعض النصوص المسامرية ، إلى وجود علاقة جيدة كانت تربط مدينة (كيش) العاصمة الثانية للأكاديين ، مع إبلا ، حيث قام الملك الابلائي (أبي - زكير) بزيارتها ، وكان كنية من (كيش) يعملون في إبلا ، وكان المواطنون في إبلا يزورون (كيش) أو يقطنون فيها . . كما أن كيش ، كانت تشترك في تقديم القرابين في معابد إبلا ، وتشير كل هذه المعلومات إلى وجود علاقة متوازية وطيبة بين إبلا ، وعاصمة الأكاديين¹⁰ .

10 - إبلا ، عبلاء ، الصخرة البيضاء ، قاسم طوير (ص 33) .



قطع من رقائق ذهبية إيسلانية،
اكتشفت في القصر الملكي (ج).

ونظراً لأهمية هذا التقرير العسكرية والسياسية فقد قام أكثر من عالم لغوي بدراسته ، ويرى العالم «ادزاد» أن هذا التقرير يعيد إلى الأذهان الانتصارات العسكرية مع تداعي الخواطر في كثرة ذكر الاسماء ، ويبدو أن لهذا أهمية في العلاقات المتبادلة بين ماري و إيسلا .

أما في الدرجة الثالثة فتأتي المدن المستقلة ظاهرياً ، ويحكمها ملك من أهلها لكنها ترتبط بمعاهدة سياسية مع إيسلا ، كما هي الحال بالنسبة لمدينة آشور وحماة (?) ، أو باتفاقية تقوم على دفع الجزية لابلا ، كما تحقق من ذلك بالنسبة لأكاد ، وكانيش ويمكننا أن نأخذ فكرة عن تلك المعاهدات التي تربط إيسلا بتلك المدن من خلال «ما يسمى بالمعاهدة بين إيسلا وآشور» التي تفيد ترجمتها :

«إذا اعتدى أحد على أبارسال فإن إيسلا ستتكفل (ستحمي ؟) غلال محاصيل حقول أبارسال ، أو إذا اعتدى أحد على أبارسال فإن أبارسال ستقتله . وإذا اعتدى أحد على إيسلا فإن أبارسال ستتكفل غلال حقول إيسلا ، وإذا اعتدى أحد على إيسلا فإن إيسلا ستقتله» .

لقد جرى خلاف بين علماء اللغات القديمة حول ترجمة هذا النص ، وخاصة المدينة التي وقعت مع إيسلا تلك المعاهدة ، «فجيو فاني بتيناتو» قرأ كلمة (آشور) اسماً لتلك المدينة ، وادموندسولبرجيه دقق النص مرة ثانية ، وقال بأن الكلمة لا يمكن أن تكون (آشور) بل (أبارسال) لكن لم يسمع أحد باسم هذه المدينة ، إذ لم يرد لها ذكر في أي نص مسماري قديم ، أو متأخر في أي موقع أثري خارج

ومع ذلك من الصعوبة - حتى الآن - وضع نظرية متكاملة حول سعة رقعة إيسلا الجغرافية ، نظراً لعدم اكتمال المعلومات الأثرية ، ورغم ذلك فقد كشفت نصوص السجلات الملكية الابلائية بجلاء عن ثلاثة أشكال لطريقة حكم المناطق الجغرافية والاشراف الإداري عليها : يوضحها لنا «باولو ماتيه» على النحو التالي :

في مقدمة تلك الاشكال نذكر المدن التي تتبع مباشرة لابلا ، وكان يحكمها (الاوغولا) أي القاضي ، أو ابن الملك ، أو أحد وجهاء البلاط الملكي ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة (آرمي) التي يبدو أنها كانت إحدى كبريات المراكز في امبراطورية إيسلا ، ويمكن أن تكون المقصودة في كتابات الملك الأكادي (نارام - سن) الذي يفتخر بأنه فتح إيسلا وارمانوم (حلب القديمة) .

وتأتي في الدرجة الثانية ، المدن الغربية التي تم اخضاعها في أعقاب حملة عسكرية ، وفي هذا الوضع ، يتسلم أحد وجهاء إيسلا سدة الحكم في المدينة المغلوبة ، مثلما حدث بالنسبة لمدينة ماري ، وقد وجد في نصوص إيسلا ما يخبرنا عن الحملة العسكرية التي قامت بها إيسلا ضد ماري ، من خلال تقرير القائد (إننا - دجن) إلى ملكه في إيسلا ، حاملاً إليه بشائر النصر المبين ، حيث يقول له :

«إنادجن ، ملك ماري إلى ملك إيسلا ، حاصرت مدينة إيبورد ، ومدينة إيجي ، التابعتين لدولة بلاد إيسلا ، ودحرت ملك ماري ، وتركت بلاد لبنان الجبلية حطاماً ورماداً ، ثم حاصرت مدينة تيبالات ومدينة ألو ، ودحرت ملك ماري ، وتركت بلاد انجاعي الجبلية رماداً وحطاماً ، ثم حاصرت دولة راعياك وإيروم وأشلد وبادون ودحرت ملك ماري ، وتركت حدود (الاسم ناقص) في منطقة ناحال رماداً وحطاماً ، ثم حاصرت مدينة ايمار ، ومدينة لالانيوم وقناة إيسلا ، ودحرت قائد ماري العسكري المدعو (اشتوب - شار) وتركت مدينة ايمار ومدينة لالانيوم رماداً أو حطاماً ، ثم قضيت على مدينة جلالابيغي ، ومدينة (.....) وعلى القناة ، ثم دحرت ملك ماري وأبارسال ، في مدينة زاهيران ، وأقامت سبعة أهرامات من الرماد والحطام ، وحاصرت (إيبولول - ايل) ملك ماري ومدينة شادا ، ومدينة الداليعي ومدينة اريسوم في دولة بورمان التابعة لبلاد سيجوروم ، ودحرت (إيبولول - ايل) وتركت تلك المدن حطاماً ورماداً ، ثم حاصرت مدينة شران ومدينة داميوم ، ودحرت (إيبولول - ايل) ملك ماري ، وأقامت هرمين من الرماد والحطام ، وفي مدينة ميرات ، في قلعة حازوان هرب من أمامي (إيبولول - ايل) ملك ماري ، واستلمت جزية إيسلا الموجودة في مدينة (نه - ما) . أما مدينة ايمار فقد دحرتها وتركتها رماداً وحطاماً ، وفي بلاد كنعان دحرت (إيبولول - ايل) ملك ماري ، في منطقة نحال ، وفي مدينة نوبات ، وفي مدينة شاوا التابعة لدولة جاسور ، وأقامت سبعة أهرامات من الحطام والرماد ، كذلك دحرت (إيبولول - ايل) ملك ماري في مدينة براما للمرة الثانية ، وفي مدينة أيبورد ، وفي مدينة تيبالات التابعة لدولة بيلان أنا (إننا - دجن) سيد ماري ، تركت تلك البلاد ، رماداً وحطاماً ، ثم ربطت الصولجان ، وانغمست في الهيئة الملكية¹¹ . ويبدو أن (أننا - دجن) كان متزعجاً من ملك ماري (إيبولول - ايل) لذلك نراه في تقريره يكرر كثيراً خبر التصدي له والقيام بدحر جيوشه ، وفي ذلك شيء من الطرفة ؟!

11 - مجلة اونيس انتيكوس الصادرة عن معهد الشرق ، مركز آثار وتاريخ فنون الشرق الأوسط ، المجلد (19) الجزء (4) لعام 1980 (ص 231 - 245) ترجمة الاستاذ قاسم طوير ، مصدر سابق (ص 118 - 119) .

12 - قاسم طوير، المصدر السابق (ص 34) و (132).

إبلا ، ومع هذا يرجح الباحثون أن تكون هذه المدينة واقعة في مكان ما على الفرات لأن المعاهدة تحرم (أبارسال) ممارسة التجارة النهرية ، وتجعلها حكراً بيد إبلا¹².

وفي نصوص سجلات القصر الملكي في إبلا عثر المنقبون أيضاً على رسالة دبلوماسية من نوع آخر ، بين ملك إبلا (أركب دامو) مرسله إلى (زيزي) ملك خمازي ، وتفصح هذه الرسالة بصراحة عن تحالف بين إبلا وخمازي . ولما كانت مملكة خمازي حسب تقدير علماء الآثار تقع في مكان ما من شمال إيران أو إلى الشرق من نهر دجلة ، فإن ما يثير الإعجاب أن تقيم إبلا علاقات دبلوماسية مع مملكة نائية عنها ، وهذا يؤكد بما لا يقبل الشك أن إبلا كانت إمبراطورية كبرى مترامية الأطراف وإعادة ترتيب النص (الرسالة) يفيد بما يلي :

«من اييو- بونا قصر الملك إلى الرسول ،

اسمع انما انت اخي ، وأنا أخوك ،

أرغب من أخي أن ينصت إلى ما أقوله ،

إن الرغبة التي اتفوه بها هي أن أرجوك بإرسال

جنود ابرار .

فأنت حقاً أخي ، وأنا أيضاً أخوك ،

فأنا اييو بو أعطيت عشر قطع أثاث من الخشب

وقطعتين من الاثاث الفاخر لرسول أركب- دامو

ملك مدينة إبلا ، وأخ زيزي ملك مدينة خمازي .

وزيزي ملك خمازي هو أخ أركب دامو ملك مدينة إبلا

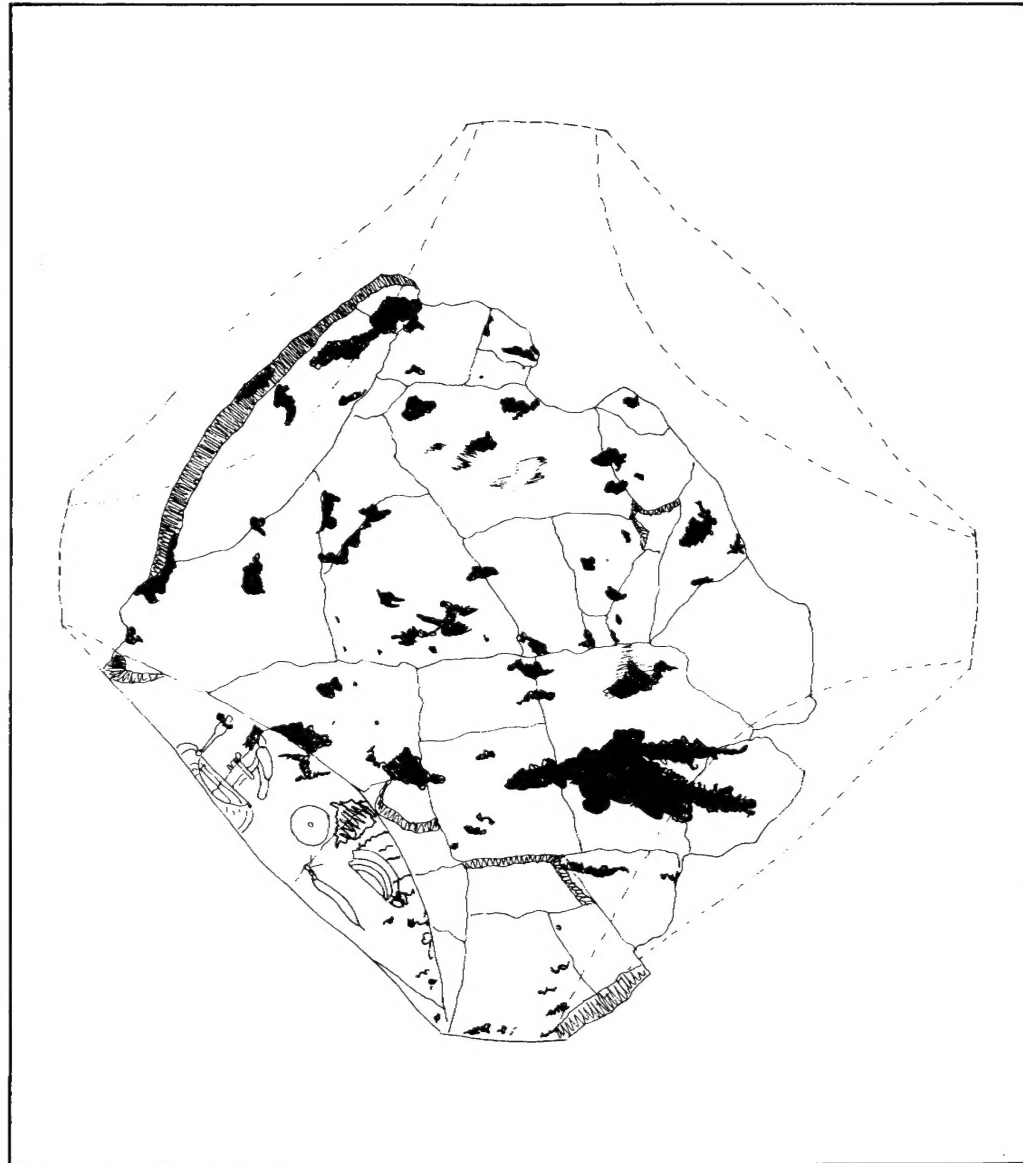
وأخ زيزي ملك مدينة خمازي

انما كتب (هذه الرسالة) الكاتب تيرا- ايل ، وأعطاه لرسول زيزي» .

وفي هذه الرسالة ما يشير إلى أن ناظر قصر إبلا قد طلب من مبعوث مملكة خمازي أن يرسل له جنوداً ابراراً ، وهذا يدفع للتفكير بأن إبلا كانت تستخدم الجنود المرتزقة في تشكيل جيوشها ، أو أن معاهدات التحالف كانت تنص على إرسال الجنود للخدمة في بلاط إبلا ، وهذا أيضاً يمكن أن يدل على الصفة المسالمة لأهالي إبلا الذين وهبوا أنفسهم للتجارة الدولية في كل أنحاء العالم المعروف آنذاك كما أن إرسال ملك إبلا هدايا تتألف من قطع الاثاث الخشبي يؤكد على المستوى الصناعي العالي الذي كانت تتمتع به حضارة إبلا¹³ ، لاسيما وان هذه الحقيقة لا تقتصر على الدليل الوثائقي بل على دليل ملموس اكتشف بكثرة في إبلا ، اثناء تنقيبات البعثة الأثرية الايطالية في الموقع خلال عدة مواسم .

في مكتشفات إبلا ، أدلة كثيرة ومتنوعة تثبت على أن علاقاتها الاقتصادية كانت أوسع بكثير من رقعة سيادتها السياسية (على امتدادها) ، وهذه المكتشفات مكنت علماء الآثار من رسم صورة معقولة إلى حد ما لعلاقات إبلا الخارجية في المجالات السياسية والاقتصادية والحضارية المباشرة ، وغير المباشرة ، وتمثل العلاقات المباشرة في القطع الأثرية المكتشفة في انقاض القصر الملكي (ج) والتي تطرقنا إليها في مواضيع سابقة .

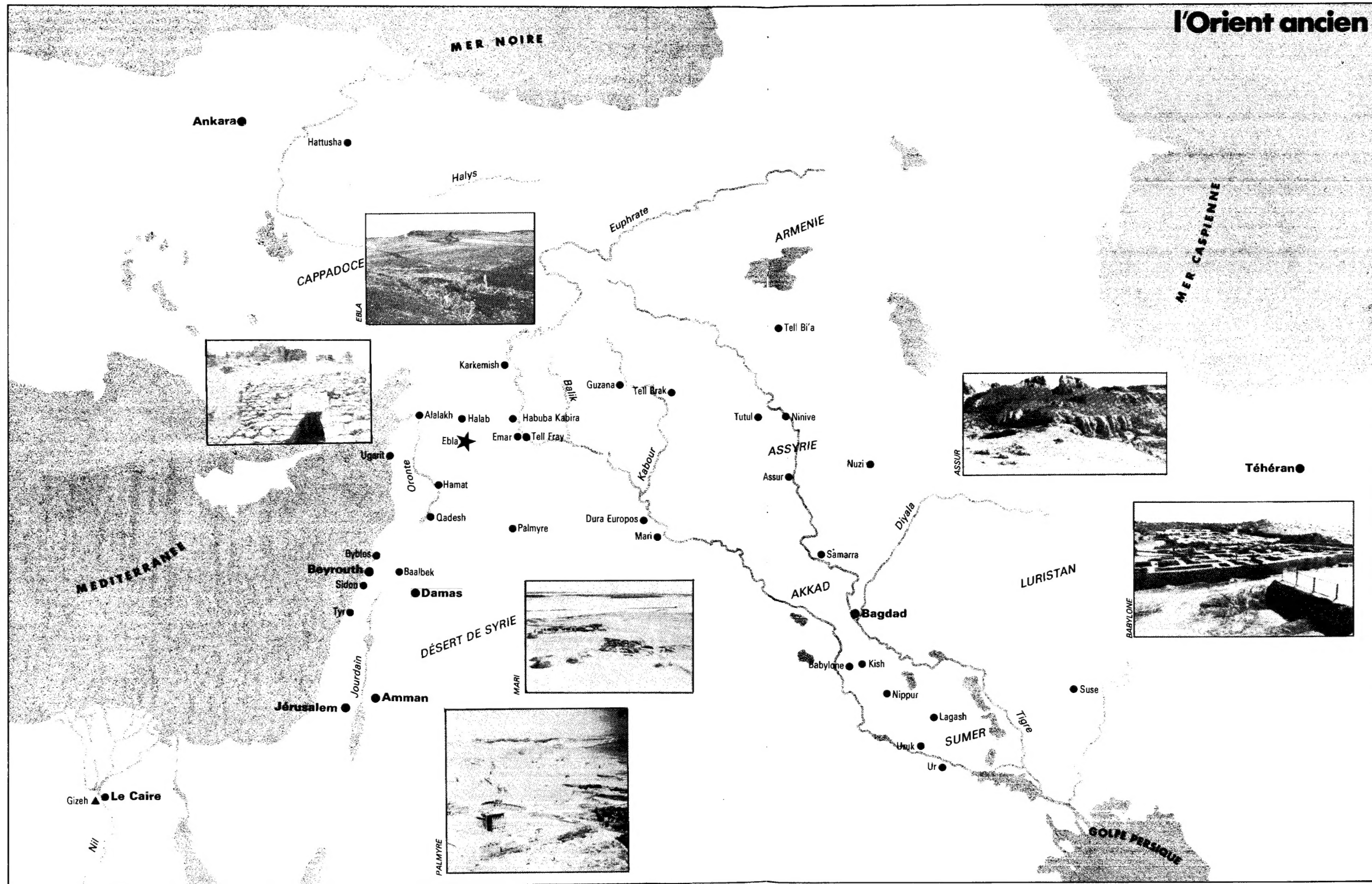
13 - المصدر السابق (ص 150 - 147 قراءة ، بقلم جيوفاني بيتيناتو .



رسم شمعدان الفرعون خفرع

أما العلاقات غير المباشرة فتتجلى في الأعمال الفنية التي عثرت عليها البعثة الأثرية وأبانت دراستها على وجود تأثيرات لمدارس فنية معروفة في بلدان أخرى ، لا بد أن إبلا كانت على علاقات معها .

وقد زدتنا النصوص المسارية ذات المضمون المعجمي واللغوي بمعلومات ذات أهمية كبيرة لأنها احتوت على قوائم بأسماء مدن نائية وذات شأن . ومع انها لا تفصح عن وجود علاقات تجارية أو سياسية بين تلك المدن وإمبراطورية إبلا ، فإنها تقدم الدليل على أن أهالي إبلا آنذاك كانوا يعرفون تلك المدن على أقل تقدير ، ومن جملة تلك المواقع التي تم التأكد من اسمائها ، أسماء موانئ على الساحل السوري مثل : أوغاريت وأرواد وربما بيروت أيضاً ، فضلاً عن أسماء مدن كبرى في بلاد آكاد وبلاد سومر مثل (إكشاك) و (لاغاش) و (أما) و (جيرسو) و (نيبور) و (شوروباك) و (أدب) و (أوروك) ، إلى جانب أسماء مدن في بلاد أكثر بعداً مثل (عيلام) في جنوب غرب إيران ، و (ديلمون) في البحرين الحالية .



خريطة توضيحية تبين علاقات
إبلا التجارية والاقتصادية مع
دول الشرق القديم.

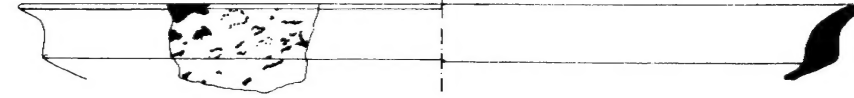


بنيان تأسيسي سوري الطابع ، وتطلعات دينية مرتبطة بتاريخ بلاد الشام المتأخر ، وفي هذه المرحلة بالذات ترسخت أسس متميزة أصبحت بعدئذٍ منطلقاً للتطور الحضاري المتعاقب في بلاد الشام .

وتتجلى المرحلة الثالثة في الفترة التي دونت خلالها السجلات الملكية المكتشفة في القصر (ج) ، فالعلاقات بين إبلا وجنوب بلاد الرافدين ، ظلت قائمة ، لكن الاستقلال الحضاري الذاتي لابلا تكامل كلياً ، ويبدو أن العلاقات وقتئذٍ قد اقتصرت على المناطق المزدهرة في شمال بلاد بابل ، وعلى مدن معينة مثل : (كيش) و (اكشاك) وآكاد رغم غياب اسمها في وثائق إبلا ، وقد اتصفت العلاقات في هذه المرحلة بين إبلا وآكاد بطابع المساواة والمنافسة .

وفي المرحلة الواقعة بين 2300 - 2250 قبل الميلاد نتجت عن تلك المعادلة ، مشاكل حاسمة ، تجلت في اضطراب إبلا إلى دفع الجزية إلى صارغون الآكادي ، وفيما بعد إلى دمار إبلا على يد نارام - سن الآكادي ، وواضح أن الطابع الاقتصادي قد لعب الدور الأساسي في كل تلك العلاقات ، فابلا كانت تسيطر على سورية الداخلية ، وتتحكم بمصادر الخشب في جبال سورية الغربية من الامانوس وجبال الساحل السوري حتى جبال لبنان ، وبمصادر المعادن كالنحاس والفضة والذهب في مناطق مختلفة من جبال طوروس

وكانت المعادن والاختشاب من المواد الحيوية والأساسية في تطور التقنية في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي التجديدات التكنولوجية لذلك الزمان ، وبالذات تكنولوجيا البرونز ومع ذروة التوسع الاقتصادي والسياسي الذي حققته إبلا نحو الغرب ونحو مراكز الشرق . . أدرك ملوك



إن مجرد ذكر أسماء حواضر كبرى واقعة في بلاد سومر في الرقم المعجمية المخصصة لتعليم الكتابة المسماة في إبلا ، هو في غاية الأهمية ، لاسيما وأن العلاقات الاقتصادية الموثقة في سجلات إبلا تأتي كثيراً على ذكر مدينة (كيش) في بلاد آكاد ، لكنها لا تأتي على ذكر أي مدينة من مدن الجنوب الرافدي ، باستثناء مدينة (أوب) التي لا بد أنها كانت مركزاً هاماً على طريق المواصلات مع الهضبة الإيرانية¹⁴ .

وفي تقييم للأثر الناجم لتلك العلاقات الدولية التي أقامتها امبراطورية إبلا على نشوء وتطور حضارتها ، يقول باولوماتيه :

في الحقيقة لا يوجد شك بأن ينبوع الحضارة التي ازدهرت في إبلا كان يتغذى بالتأثيرات القادمة من المناطق الحضارية التي كانت إبلا تقيم معها أوثق العلاقات السياسية ، وأمتن العرى الثقافية خلال الفترة التي دونت فيها السجلات المسماة المكتشفة في القصر (ج) لاسيما وأننا نستشف من تلك الوثائق أن توجهات إبلا السياسية والاقتصادية قبيل دمارها بين 2300 - 2250 قبل الميلاد ، كانت شرقية أكثر منها غربية

إن علاقات إبلا ببلاد جنوب ما بين النهرين ، مرت بمراحل متنوعة ، ومن الممكن أن نتصور معالمها الرئيسية في عدة نقاط

في المرحلة الأولى ، وبالتحديد فجر التاريخ 3500 - 3000 قبل الميلاد ، قام السومريون بتأسيس ممالك وحواضر على طول الفرات الأوسط والاعلى ، وعلى طول نهر الدجلة الاعلى ، وقد أكدت التنقيبات الأثرية ذلك في تل قناص وتل حبوبة وتل عارودة ، ومناطق سهل العمق ومنطقة انطاكية وحماة ، ومن المرجح جدا ان تكون المدن الأولى قد نشأت في منطقة تل مردوخ (إبلا) وبالذات في منطقة بحيرة المنخ التي وصلها التأثير السومري في فترة فجر التاريخ حسب قول باولوماتيه¹⁵ .

في المرحلة الثانية 3000 - 2400 قبل الميلاد ، كانت الاتصالات وثيقة بين إبلا ومنطقة جنوب بلاد ما بين النهرين ، لكنها كانت مقتصرة على بلاد آكاد الشمالية ، وليس على بلاد سومر الجنوبية ، وفي هذه المرحلة بالإضافة إلى موضوع التأثير ، بدأت حضارة إبلا تكون شخصيتها وتأخذ أبعادها المستقلة ، وتصبح الوجه المميز للحضارة السورية في ذلك العصر . فضلاً عن ظهور

14 - علاقات ابلا الاقتصادية والسياسية ، باولوماتيه ، مصدر سابق (ص 14) .

15 - المصدر السابق (ص 19 - 18) .

آكاد أنه لن يمكن تحرير الطرق التجارية على طول ضفاف الدجلة والفرات وغيرها . . . إلا بإرسال الحملات العسكرية المباشرة لوقف ازدهار إبلا وسيطرتها الاقتصادية والتجارية والسياسية¹⁶ . . .

16 - المصدر السابق (ص 19) .

تذكر النصوص المسارية التي خلفها صارغون الآكادي نحو 2300 قبل الميلاد ، أن إبلا هي أقصى مدينة وصلتها جيوشه ، وتغلب عليها في حملته الرابعة والثلاثين ، ويتباهى صارغون بأنه حكم الأراضي الممتدة بين ماري على الفرات وعيلام حكماً مباشراً ، وأن (انليل) كبير آلهة (نيبور) قد وهبه حق الهيمنة على البلاد الواقعة بين الخليج العربي (البحر الأسفل) والبحر المتوسط (البحر الأعلى) ، وأن الإله دجن (داغان) كبير آلهة البلاد الواقعة إلى الغرب من الفرات ، قد وهبه «البلاد العليا» من ماري إلى توتول (تل البيعة) إلى إبلا ، وقد استطاع أن يغسل يديه من مياه البحر المتوسط .

وبعد أربعين سنة من ذلك التاريخ تقريباً ، يبتهل ابن أخيه أو حفيده على ما يعتقد (نارام - سن) إلى الإله دجن (داغان) في توتول (تل البيعة - قرب مدينة الرقة) ليفتح له الطريق إلى المناطق الشمالية الغربية ، ويستلم القيادة من الإله (نرجال) إله الحرب والعالم السفلي في حملته العسكرية ، فقام بتدمير البلاد الواقعة إلى الشمال من بلاد الرافدين وسورية الشمالية ، ويتباهى في نقوشه بأنه الأول الذي دمر إبلا وأرمان (حلب القديمة) منذ قيام الخليقة ، وهكذا نرى أن العلاقات التجارية التي كانت سبباً في أعمار إبلا وازدهار امبراطوريتها ، كانت نفسها السبب في خرابها ودمارها لأول مرة في عام 2250 قبل الميلاد تقريباً ومع أن إبلا عادت وازدهرت بعد ذلك في الفترة الواقعة بين 1800 - 1600 قبل الميلاد إلا أنها لم تصل إلى مستوى زعامتها السابقة ، وتقلدت يحاض (حلب) زعامة سورية الشمالية بدلاً عنها .

لقد أطلق على هذه الفترة من حياة إبلا ، اسم فترة الازدهار الثانية ، وهي الفترة التي يطلق عليها أيضاً اسم العصر السوري القديم ، أو العصر الأموري ، الذي انتهى في نحو 1600 قبل الميلاد على يد ملكي الدولة الحثية القديمة ، حاتوشيلي الأول ومورشيلي الأول ، حيث قادا جيوشهما من الاناضول باتجاه سورية الشمالية ، واستوليا على مدن آلالاخ (تل عطشانة) واورشو وإبلا ، وفيما بعد على يحاض (حلب القديمة) ، وفي نهاية المطاف احتل مورشيلي الأول ، بابل حيث كان يحكمها آخر ملك من سلالة حمورابي .



المؤلف
يحاو
البروفيسور
بأولو
ماتيه

بمناسبة مرور

خمس وعشرون

عاما على اكتشافه

العظيم



تمثال ملكية من البازلت مخبأة في
حفرة داخل معبد حدد الملاصق
للقصر الملكي الشمالي يعود
تاريخها إلى 1825 - 1750 ق.م.